

Globethics Repository

The logo for Globethics, featuring the word "Globethics" in white, sans-serif font centered within a solid blue rectangular background.

Al-Madih al-nabawi laday Muhammad al-nasir al-kubri: dirasah adabiyah (PART 1)

This page was generated automatically upon download from the Globethics Repository. More information on Globethics see <https://www.globethics.net>. Data and content policy of Globethics Repository see <https://repository.globethics.net/pages/policy>.

| | |
|---------------|---|
| Item Type | Preprint |
| Authors | Abikan, Musa Abdussalam Mustafa |
| Rights | With permission of the license/copyright holder |
| Download date | 2026-07-08 20:33:15 |
| Link to Item | http://hdl.handle.net/20.500.12424/188310 |

المديح النبوي لدى محمد الناصر الكبرى : دراسة أدبية

الدكتور موسى عبد السلام مصطفى أبيكن
المحاضر بقسم الدراسات العربية والإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ولاية كوفي , أنبأ
ص-ب- 1008 , ولاية كوفي

نيجيريا

**DR. MUSA A.M. ABIKAN
DEPARTMENT OF ARABIC AND ISLAMIC
STUDIES
FACULTY OF ARTS AND HUMANITES
KOGI STATE UNIVERSITY. ANYINGBA
P.M.B.1008, KOGI STATE
NIGERIA**

المديح النبوي لدى محمد الناصر الكبرى : دراسة أدبية

إعداد :

الدكتور موسى عبد السلام مصطفى أبيكن
المحاضر بقسم الدراسات العربية والإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ولاية كوفي , أينا
ص-ب- 1008 , ولاية كوفي

نيجيريا

الشعر العربي :

يتفق الأدباء على أن الكلام لا يسمى أدبا , ولا يمت إلى الفن بنسب , إلا حين تجتمع له روعة التأثير , وبراعة الفكر , ودقة المعنى , وجمال العبارة , ولطف الأسلوب وإشراقه (1) فإذا بلغ هذه الغاية , واستوفى تلك السمات , فلا بد أن يأخذ هذين اللونين : أما الكلام الذي يجري على الألسنة , فلا يتقيد صاحبه بوزن , ولا يلتزم فيه قافية , ولا يتوقف إلا على سلامة الفكرة , وصحة المنطق , واستقامة أركان الكلام , فهذا النوع , هو الذي يسمى بالنثر . أما النوع الذي يلتزم فيه حدودا خاصة , وسمتا معينتا , ينضره دائما إشراق الخيال , وحلاوة اللفظ وأناقته , وجمال المعنى وبهجته مع خضوعه دائما لقيود الوزن , وحدود القافية , فهذا , هو الذي يطلقون عليه الشعر , لأنهم يقولون : شعروا به , وفطنوا له (2)

نشأ الشعر العربي عفويا , مبرأ من الغرض , بعيدا عن هذه الزلفى التي تقود الشاعر إلى التكسب , وتسخير الذات (3)

من هو الشيخ محمد الناصر الكبري ؟

وهو الشيخ محمد الناصر بن محمد ميزوري بن الشيخ عمر المعروف بمالم كبر (4) ولد الشيخ في غرناغوا , وهي من ضواحي مدينة كنو (5) وكانت ولادته يوم الخميس في شهر شوال سنة 1334هـ 1912م . انحدر من أسرة كريمة متدينة متعلمة , تنتمي إلى قبيلة صنهاجة , ولا يخفى تأثير الأسرة عليه من جهة العلم والفضل .

نشأ الشيخ محمد الناصر يتيم الأب , فقام بتربيته خاله الشيخ إبراهيم نظغني , وحظي بتربية إسلامية , وكان نادر الذكاء , مخالفا لأترابه , محبا للعلم والعمل به , متهجدا في ليله , ساعيا وراء هدفه في نهاره (6) ختم القرآن في طفولته , وعكف على طلب العلم , وتلقاه من كبار المشايخ في عصره .

ولم يجاوز الثلاثين من عمره حتى بذ أقرانه , وتكونت شخصيته العلمية , وأمه طلاب العلم , وذاع صيته في الآفاق , وأصبح خادما للعلم والشريعة والحقيقة , وقد شهد بجزارة علمه العام والخاص , كما شهدت بذلك مؤلفاته القيمة (7)

قام الشاعر بالدعوة الإسلامية , والثقافة العربية في ربوع نيجيريا خاصة , وتبوأ في ذلك مناصب علمية ودينية , واجتماعية في نيجيريا وخارجها منها :

- 1- مشيخة الطريقة القادرية في نيجيريا .
- 2- عضوية في مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة .
- 3- عضوية في مجلس أمناء جامعة صدام حسين للعلوم الإسلامية في العراق .
- 4- عضوية في المؤتمر الشعبي الإسلامي بالعراق .
- 5- عضوية في لجنة القيادة الشعبية الإسلامية العالمية بطرابلس .

6- عضوية في المجلس الأعلى للشئون الدينية , وهيئة العلماء في نيجيريا .

7- رئاسة جمعية وحدة الإسلام والحج في نيجيريا .

8- عميد لمدرسة الدروس الإسلامية العالية التي أسسها بمجهوداته , خدمة للإسلام والمسلمين (8)

إضافة إلى هذه المناصب , قد منحته جامعة أم درمان الإسلامية بجمهورية السودان شهادة الدكتوراه الفخرية في الدعوة الإسلامية , والثقافة العربية . توفي في يوم الجمعة من أكتوبر 1996م , رحمه الله .

شعره :

بدأ الشيخ رحمه الله قرص الشعر العربي منذ عنفوان شبابه , ولم يجاوز السابعة من عمره , واستمر ينتج الأشعار العربية إلى آخر حياته , وكانت قصائده مبعثرة في أيدي مريده وأصحابه , وعشاق اللغة العربية بما في ذلك من الكتب الأدبية والتاريخية . وقد جمعت قصائده في ثلاثة دواوين .

الأول : جمعه مريده الشيخ يوسف عبد الله مكوراري في مائة وسبع وستين صفحة بعنوان " سبحات الأنوار من سحبات الأسرار " .

الثاني : جمعه الشيخ إبراهيم المعظم , والأستاذ محمد الكبير آدم ياكاسي بعنوان : .
نعمات الطار في الذكر بالصباح والمساء والأسحار " .

الثالث " جمعه ورتبه إبراهيم المتبولي للبحث الجامعي على مستوى شهادة

الليسانس بجامعة بايروكنو , بعنوان " شعر الشيخ محمد الناصر كبر "

الفرق بين هذه الدواوين أن الأول جمع من غير ترتيب موضوعي وتاريخي . وكان الثاني أضعف نظاما من الأول , إذ لا يزال مخطوطا ومحفوظا في مكتبة الشيخ .

وكان الأخير يتميز بالترتيب الموضوعي . وقد حققه ونقحه الشيخ نفسه .

وبجانب هذه الدواوين فهناك منظوماته التعليمية الأخرى منها منظومته المسماة بالنفحة المسكية في سيرة أشرف البرية , وسلالة المفتاح في نظم مفتاح السداد لأmir المؤمنين محمد بلو وغيرهما . وكانت أشعاره من الناحية الموضوعية تدور حول أغراض الشعر التقليدية من مدح , وثناء , ومناسبات , ورحلات , وحكم , وزهد , وتعليم , وشعر التصوف .

المدح في الشعر العربي :

فالمدح هو الثناء على إنسان بذكر فضائله , وتعداد خلاله الكريمة , وخصاله العظيمة , ولم يكن لذلك في أول الجاهلية مظهر خاص يجنى من وراءه الشاعر مغنما أو يستدر هبة أو يحتلب به الرزق , وإنما كان في بدء أمره إحساسا بفضيلة أو شعورا بيب , يدفع الإنسان إلى أن يمدح , ويثني على من قدم له المعروف , أو أسدى إليه اليد (9)

فلما عرف الشعراء طريق العطايا والهبات بواسطة الشعر , فبالغوا فيه , وانقطعوا للرؤساء والأمراء والملوك , يثيرون فيهم كامن الغرور , ويوقظون الكبرياء , والعظمة بما يصفون عليهم من صفات , ويسبغون من نعوت , وكانوا لهذا يراجعون شعرهم , ويجودونه حتى سمو بعضهم بعبيد الشعر . ومن هؤلاء زهير بن سلمى , والنابغة , والأعشى , والحطيئة . وقد مدح الأخيران الملوك والسوقة (10)

وقد قالوا إن أمدح بيت قالته العرب في الجاهلية قول النابغة (11), إذ قال :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب(12)

وكان الجاهليون يمدحون بكرم الخلال كالشجاعة والكرم والعفة والنجدة والبأس والعدد , ونحو ذلك من الشمائل التي كانت من دأبهم , والتي كانوا يفاخرون بها . ولقد شاع المدح , وكثر بعد تبذل الشعراء , واتخاذة أداة للإرتزاق , ومهنة للتكسب .

وقد اتجه الشعراء الذين أسلموا إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم , صاحب الدعوة التي أنقذت الناس من الشرك , وصاحب النفس التي انطوت على الأخلاق الكريمة , والسجايا العظيمة . ولم يبق المدح في نطاق المعروف يشكر , ولا اقتصر فيه الشاعر على استجداء الشريف , وإنما تخطى إلى مدح الرسول وأصحابه

المدح النبوي ومكانته في الشعر العربي النيجيري :

وقد أكثر الشعراء من مدح الرسول عبر العصور الأدبية على اعتبار الأنبياء أحياء عند ربهم يرزقون . أما في نيجيريا , فقد أطنبوا في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم , لحبهم فيه , وبأن كلامه هو المصدر الثاني بعد القرآن . لذلك , تحتوي دواوينهم بمدائح الرسول على اختلاف طولها وقصرها , وجودتها ورداءتها , وقتها وكثرتها , على سبيل مرضات الله في الدنيا والآخرة .

ومكانة المدح النبوي , أعظم , لأنهم لا يتطرقون إلى موضوع من موضوعات العلم أو غرض من أغراض الشعر المعروفة إلا ويفتتحون به , وإن لم يفتتح به شاعر عادة لسبب من الأسباب , فإنه يذكره في الإختتام . وقد جبلوا على هذا العرف الإسلامي منذ انتشار نور الإسلام في نيجيريا , وإلى يومنا هذا , وسيظل كذلك إلى أن تقوم القيامة , بإذن الله تعالى .

إن مجال المدح النبوي متعدد الاتجاهات , منها ما قيلت في احتفالات الهجرة النبوية , أو في عيد مولده , أو في تخميس قصيدة لشاعر عربي أم غيره . وقد يكون في تربع القصائد المدحية , أو تخميسها .

الهجرة النبوية :

إن من الأدب الإسلامي النيجيري الذي جبل عليه المسلمون , ردحا من الزمان , هو الحب العذري للرسول , قولاً وفعلاً . فالأدب الإسلامي المجيد , نشأ منذ أشرقت نيجيريا بنور ربها , واتخذ الاتجاه الحنيف منهج حياتها في سائر نواح , وذلك , بأن المجتمع الذي ينتمي إليه الأديب المسلم , لا يقبل إلا النص الملتزم بشعائر هذا الدين (13)

لأن علماء غرب أفريقيا يقصدون الرسول صلى الله عليه وسلم عند التعبير بالخلق الأكرم , وهو بشر تجسد فيه عليه رؤيته الشفافة من سمو المعاني , وجلال الأقدار ,

والأوصاف , مستخلصة في كونه قدوة حسنة , ومثلا أعلى للإنسانية , اصطفاه الله
أعلى الأنبياء رتبة , وأرفع الرسل مكانة , فكان ألقاهم لرب العالمين (14)

وفي احتفالات الهجرة النبوية , يذكر الشعراء , أسباب الهجرة , وفوائدها , وأهميتها
التي بسببها انتشر الإسلام إلى بقاع العالم ثم عن الدروس , والحكم , والكرامات التي
وجدتها المسلمون من إخوانهم الأنصار ثم عرض الصفات التي لائق إلا للنبي وحده
كقولهم : إنه خير خلق الله , وأنه خير من وطىء الثرى , وأن الكفار خافوه ,
واستسلم بعضهم لدمائته , ورسالته السمحاء , وانقادوا لأمره , وإنه عرج إلى السماء
, ووصل إلى مكان لم يصل إليه بشر قبله ولا بعده.

ومن الأهمية بمكان , أن طلاب العلم , يخرجون إلى استاد البلاد أول محرم من كل
عام جديد , تعظيما لشأنه , وتذكرة لصاحبه , وتتحدث عنها الصحف اليومية , وتنقل
وسائل الإعلام بحولها . ومن الأناشيد التي ينشدها الطلاب , وهم ذاهبون أو
راجعون منها قول شاعرهم :

| | |
|-------------------------|-----------------------|
| أنتيت فقويت وحدتنا (15) | نحيبك يا عيد هجرتنا |
| فجدد ذلك آمالنا | طلعت كطلعة فجر السما |
| لأنك رمز كراماتنا | نحيبك هجرة خير الورى |
| فعزز فعلك إسلامنا | تركت محمدا أم القرى |
| على الفور مسرح أحلامنا | ويثرب لما رأتك غدت |
| وتجري إليها ركائبنا | ويسعى إليها هوى قلبنا |
| بيدد ذلك أو هامنا | وقدرك فينا يضىء سنى |
| تجلى وتحسن أيامنا | وذكراك ياهجرة المصطفى |

ونوع آخر قد فشا في أشعارهم , هو المدح الذي ينشده الشاعر في يوم احتفالهم بمولد
الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم . ولمولد النبي عند الشعب النيجيري عامة ,
مكانة سامية , سواء عند المسلمين منهم والمسيحيين والوثنيين . السبب في ذلك , أن
الحكومة الفيدرالية تعلن إجازة رسمية في هذا اليوم ليتمكن المسلمون من الأداء
بشعائر دينهم , منها , إقامة حفلة المولد النبي في الأماكن العامة كاستاد البلاد ,
وقاعات المحاضرات العمومية , ثم تترين طلاب العلم بزي واحد , وفي أفواههم
حين الذهاب والإياب أناشيد إسلامية جذابة .

وقد ينسج بعضهم أناشيد إسلامية باللغات المحلية , ويرددها الطلاب , وقد تنشدها
الجمعيات الدينية , ولكن الشعراء المحليين منهم , فيقرضون أشعارا ممتازة في هذا
الفن . ومن فرسان هذا الوادي , الشيخ أبوبكر عتيق الكنوي , يقول مثلا في مدح
الرسول من جهة التخميس :

يا أشرف الخلق يا أعلى الورى غرفا (16) يا أكرم الخلق يا أسمى الورى شرفا
(17)

يا أعظم الخلق يا أوفاه مغترفاً يارحمة الله يا من قد رقى وصفا
ونال ماليس يدريه الذي وصفا

أتى إلى بابك المضطر مرتجياً الناصر الكنوي (18) يشدوك مستحياً
يقول قال عتيق منك مجتدياً أزكى صلاة وتسليم عيك أيماً
مشكاة مصباح رب العرش يا صدفا

ما ربحت قضب البانات ضاحية ريح القبول بنشر المسك عاطرة
فذكرتنا بذاك النشر كاظمة والأل والصحب والأتباع قاطبة
أهل المعالي الاولى حازوا بك الشرفا

قد جننت بابك يامختار مجتدياً وكنت بابا من الإفضال محتلياً
عروس مملكة الرحمن مرتويماً يا أول الخلق يا نور الإله أيماً
سر الوجود ويا غوثاً لمن هتفاً

يا من رقى ليلة الإسراء مرتدياً رداء عز وعم الكل ممتطيماً
كواهل المجد فوق العرش مستويماً يا مظهر الجود يا كنز الوجود ويماً
نور الكيان الذي أتراحنا كشفاً

يا قائد الغر يا كشاف كربتهم يا قاسم الرزق يا خطاب سكنتهم
فكن أيأ طاهر فيما ألم بهم ويا مفيضا على الورد أجمعهم
ما فاض من بحره مهما همى وكفا

فالمديح النبوي فن من فنون الشعر التي أذاعها المتصوفون , وهي لون من
ألوان التعبير عن العواطف الدينية , وبابا من أبواب الأدب الرفيع لأنها
تصدر عن قلوب مفعمة بالحب الصادق , والإخلاص المكين (19)

1- تجريد النقط من الأبيات :

إن المديح النبوي غرض قد غرق شعراء نيجيريا في لججه ودرره من يوم
استقامت بناتهم في رياض الشعر العربي . لقد اتخذ بعضهم هذا الموضوع
عبادة يتقربون به إلى الله , إيماناً منهم أن النظم من هذا القبيل مأجور , بل

, يزيد للذين آمنوا بالله ربا , وبمحمد رسولا ونبيا , لذلك , قام شعراؤنا حام شعراؤنا المحليون حول المديح النبوي تبركا بسيد البشر .

وقد يقرض الشاعر النيجيري قصيدة , يمدح فيها الرسول من أولها إلى آخرها بلا نقط , إظهارا لمقدرته اللغوية , وتلويحا لذخيرته العلمية , وفارس هذا الميدان , الشيخ محمد الناصر الكبري الكنوي النيجيري (1912-1996م) , رئيس رابطة الطريقة القادرية , وزعيم مشيخة الطريقة القادرية في أفريقيا (20)

يقول الشيخ في قصيدة لم نر لها مثيلا عند شعراء نيجيريا , وبعبارة أخرى , تندر مثيلاتها في ميادين الشعر العربي النيجيري من حيث البنية والشكل قائلا :

أعلى سلام لأعلى الرسل إعلاما وأكرم الرسل أحلاما وإسلاما
محمد أحمد المحمود حامده المملا الروح أسرارا وأحكاما
أحدو مدائحه وعسى أحوط لها لدى إله الورى المعطاء إكراما
ما أرسل الله أعلى سرمدا أحدا كأحمد العلم المعلوم إعلاما
أولى لكل علا أدلى لكل ملا أحمي كلاما واولى الدهم إكلاما
طه الظهور الرد المحاص كل ردى

أحاط سورا على الإسلام أهراما
مدح المكرم حمد والكرام لهم لنالئ المدح إملاء وإحكاما
عسى أحل على الأمداح أوسطها أطول المادح السحار أحلاما
أطول ما دحم ما سال سائلها مه مه ومهمه هاء طاول اللاما
وهو المحال له لسعد طالعاه وطول طائله والحاسم الهاما
حام حماه رعاه الله أكمله وصل الملاح ولاح الراح إلهاما

وإذا نظرنا إلى القصيدة بأسرها مرة ثانية , فإننا نراها خالية من النقط , ولم تذهب ديباجة الشعر في المعنى والمضمون . وإن دلت على شيء , فإنما تدل على أن شعراء نيجيريا قد بلغوا من الشعر منتهاه , ومع ذلك , يرون أنفسهم مبتدئين في مضمار الشعر العربي , تواضعا لله , وتأدبا بأداب الإسلام وتعاليمه .

والشيخ محمد الناصر من فحول الشعر العربي النيجيري الحديث, ولا يشق غباره في هذا الوادي, وقد نظم عشرات من المدائح النبوية, يفوح بذكرها كل غدو وأصال, ليؤيد بها شغفه بالرسول الأمين, ومن أحسن ما قاله في هذا الاتجاه داليتها المشهورة, وقد افتتحها على الأسلوب التقليدي سائلا البرق إقراءه السلام على نور النبي اللامع في آفاق الدنيا كلها, فلا يخجل من أن يخفي عنه كوامنه ولواعجه, وبذكره, تطيب الحياة, ولا تطيب بدونه ولو جادت الدنيا عليه بأنواع من الطيبات والملذات, فلا يزال في يم العشق والحب لهذا النبي الكريم, يقول:

أيا برق إما جئت نحو حمى نجد
وقولي له ما طاب عيشي دونه
وقولي له إني غريق متيــــــــــــــــم
ومن لي بلقيا خير من وطيء الثرى
تواعدت الأيام لقيا محمــــــــــــــــد
إلام وحتام التلاقي وهل لنا
وهل تصدق الآمال واليأس كاذب
شهدت وأشهدت الملائك أنني
نبي علا والمعلوات لأهلها
أصبر عن حبي وحزني هائج
نبي علا الكيوان حين رقيــــــــــــــــه
هناك رأى بالعين والجسم ربه
وأنى لمخلوق بمدحك بعد ما
وغاية علم الخلق فيك جميعهم
وإنك خير الخالمين جميعهم
ولولاك لولاك العوالم لم ولن
فمن بحرك الطامي تمد جميعهم
فديتك لو تفدى بأمي وجدتي
قليل فدائي فيك لكنني امرؤ
ومن جودك المفضل أرجو قبوله
يظن بي الناس الظنون فقائل
ومن قائل إني ابتدعت وقائل
فقلت لهم كلا دعوني إنني
ولم أبتدع لكن على وفق سنتي

فأقري سلامي أنور المتجرد
ولو جادت الدنيا علي بما تجدي
حليف أسي من شدة الحب والبعد
نبي الهدى النجم الوقود محمد
مواعيد عرقوب ولم تف بالعهد
بزورة مأواك المفوح بالورد
وهل لي قريبا زور مرقد أحمد
مناي أرى خير الأنام محمد
على النعل فوق العرش بالعز والمجد
فصبري في عكس وحزني في طرد
إلى الملا الأعلى لمشهده الفرد
على نبه والسر في ذلكم وحدي
قد أثنى عليك الذكر بالخلق المجد
بأنك إنسان الوجود المجدد
وفضلك لا يحصى بعد ولا حد
ترى أبدا أقسمت بالملك الفرد
ولو غبت حيننا غاب جوهرنا الفردي
وبنتي وأولادي وبالأب والجددي
مقل وهذا سيدي غاية الجهد
فويحي إن قابلت ذلك بالرد
ضللت على ما كنت فيه من الود
تركت طريق الشوق والذوق والوجد
أظن بخير العالمين محمــــــــــــــــد
ابتدعت فنون الحب في ذات أحمد

فها أنا ضال في محبة من به
عسى أن أرى في طيبة طاب عهدا
ومكته العليا أطوف ببيتها
وذلك مرمى كل نفس وسؤلها
سلام على من تيمنتني بخدها
جری حبه والله في كل مفصل
إذا سمعت أذناي ذكر محمد
فتهتز أركانها وينصب مدمعي
وإن شئت فوزا بالنعيم المخلد
بمدحيه أرجو أن تحط جرائمي
صلاتي وتسليمي عليه متى شدوا
هداية كل العالمين محمد
عساها تقي يوما بذلكم العهد
وأشرب من أحلى مشاربها جهدي
ومن ناله يوما فقد فاز بالقصد
وغطى شغاف القلب مني هوى الخد
وذوقت ريا ذلك الشهد بالوجد
نمت ذاك من وقع الكلام إلى خلدي
وينشد بالتغريد بيت المقصد
عليك بمدح الهاشمي محمد
ويرقم في ديوان مداحه حمدي
صلاتي وتسليمي عليه متى شدوا
أيا برق إما جئت نحو حمى نجدتي (21)

هذه القصيدة ناطقة بعبقرية المادح في مجال الشعر، وقد تفنن في مدح الرسول، فالممدوح خير من وطىء الثرى، وهونبي تعجز الأيام أن تلد نظيره، ومن معجزاته أنه عاين ربه، وقد وصفه ربه في كتابه العزيز بأوصاف الصفات، وله من الشمائل ما لاتعد ولا تحصى. وإن كان حبه لدى بعض العوام يراه بعضهم لا طائل تحته في رقعة الدين، فمن قائل: إنه قد ضل على سواء سبيل، ومنهم من يراه بمبتدع، ومخالف لسنة رسول الله، وقد كان هواه من قرارة نفسه من الهوى العذري، ومن زمرة عشاقه.

والحق أن الحب النزيه، قد يتوصل إلى سكب الدمع، فيهتز أعضاء الجسم لخليله، ورفيق حياته كلما سمعت أذناه اسم محبوبه فضلا من رسول الله الذي ضرب أروع أمثلة للناس جميعا. ومن نموذج آخر من مدائح الشيخ محمد الناصر الكبرى تائيته الذي ذكر فيها بعض معجزات الرسول وعجائبه قبل ولادته وبعده، قائلا:

يا رسول الله يا سندي
ذكروك الضال فارتفعت
سادة في بيتها شرف
سيد من نور طلعت
أنبياء الله من أزل
من عطاياه الملائكة
ولو الأكوان تمكث عن
توجت رأس الخطيئات
منك أنات ورنات
من مزاياه الوجودات
كانت الأعراض والذات
لهم منه ارتشافات
الطائعون الأعلويات
نوره في لحظة ماتوا

شجرات قد أتين لـه
 نبع الما من أصابعه
 قد أظلمت الحمام كما
 إذ ثوى فوق البراق إلى
 وأراه الله ما قصرت
 شاهد المولى وكلمه
 نزل القرآن معجزة
 ولطه المصطفى رتب
 وأتى يدعو الأنام إلى
 وأجابته جاحجة
 من أراد الله نصرته
 فأعز الله شوكته
 ثم رد الله كيدهم
 وبنى للدين صومعة
 وفشا الإسلام وانتشرت
 وغدت تزهو على ملل
 وغدت تختال في حلل
 لم تزل مذ حل ساحتها
 منه غارات وثارات (22)

وهكذا وقف الشاعر على بعض خصوصيات الرسول وكراماته التي تحدى بها البشر، فانتشر بذلك الإسلام إلى القارات الخمس، وازداد عدد طلاب اللغة العربية بازدياد امتداد رقعة الإسلام والمسلمين في بقاع العالم.

الأفكار والعواطف الإسلامية في المديح النبوي من قصائد محمد الناصر الكبرى :

يلاحظ من الأبيات السابقة العواطف الوجدانية، والأفكار الإسلامية القويتين في أشعاره برمتها، وخصوصا في موضوعات التصوف الإسلامي من حب إلهي، ومناجات صمدانية، ودعوات إلهية، وزهديات دنيوية، فهذه القصائد التي بين أيدينا، تمثل انفعالات الشاعر المادح بشخصية الرسول، وأهدافه الأسمى، وغاياته الأقصى، ولا أدل على ذلك من قوله :

يا رسول الله خذ بيدي وتداركني فأنت أباي

أنت يا مختار يا سندي
 طالما الأعداء حبيبيكم
 طربي غردت باسمكم
 طربي من ذكركم طرب
 ربما أبكي إذا ذكرت
 إن ذكرنا دار هجرتكم
 أو ذكرنا نور طلعتكم
 هاجت الأشواق تهتف بي
 ربما يبدي على خلدي
 أحمد المختار سيدنا
 سيد الكونين جمع من

وإليك اليوم منقباي
 أترى الأعداء تشمت بي
 فانتشى الأرواح في طرب
 لم يشبه الدهر من ريب
 لفضة تغنيك في الكتب
 جرت الأشواق من صيب
 وبريقا راق في شنب
 ويك هذا أشرف العرب
 فأشم العطر من كتب
 خير خلق الله في الرتب
 ذكره من أعظم القرب (23)

وقد بنى المادح أفكاره لتتسجم مع عواطفه الهياجة بالمدوح , وهيامه بالرسول الأمين . وقد كان ميله إلى الطريقة القادرية إحدى الطرق الصوفية المشهورة في نيجيريا عاملا جوهريا في تكوين فكره الإسلامي , ونابضا لشاعريته , فالأبيات بأسرها وليدة من أغوار قلبه لإرساء قواعد الإسلام في أركان بدنه ولا سيما في حب الرسول وصحابته , صلوات الله عليهم أجمعين .

والعواطف كما قيل: " جزء رئيسي من الوجدان فهي الانفعالات النفسية الموجهة إلى مؤثر خاص , وهي إما فردية , تمثل نزعات الإنسان وميوله الذاتية أو اجتماعية تركز على صلة الإنسان بغيره في المجتمع " . وصفوة القول : إن هذه القصائد النبوية وأمثالها تتلى كثيرا في الحفلات الدينية تقربا إلى الله (24)

اللغة والأسلوب :

إن الفكرة والعاطفة والخيال ليست كافية لبناء الشعر , بل لا بد لهذه العناصر من وعاء تفرغ فيه وهي اللغة , فالشعر تعبير عن الحياة وسيلته اللغة . وهذه الوسيلة لا تقتصر على الشعر وحده بل هي وسيلة كل الفنون الأدبية بلا استثناء , فاللغة تعني مجموعة من الألفاظ ذات دلالات معينة , فكل كلمة ترتبط بمعنى , وتدل عليه دلالة مباشرة , ولكن هذه الدلالة خاضعة لتغيرات كثيرة , فالكلمة الواحدة قد يختلف مدلولها من عصر

لعصر, ومن بيئة لأخرى , ومن شخص لأخر بحسب ما ترتبط به من إichاءات أو إشارات , وما عسى أن تثيره من صور ذهنية (25)

واللغة العربية طبعها أهلها منذ القدم على موسيقية الألفاظ , وتنويع المعاني بصور البيان , وتفويف الجمل بألوان البديع , لا فرق في ذلك بين بداوتها وحضارتها , ولا بين فصاحتها وعاميتها , حتى اطمأن كثير من رجال القلم إلى طباعهم من جهد التفكير, ويحاولوا امتلاك القلوب بروعة الأسلوب (26)

ولغة محمد الناصر الكبرى في معظم قصائده بغض النظر عن المديح النبوي بسيطة , سهلة الهضم , واضحة المغزى , و أدل على ذلك قوله في ذات الرسول الأعظم :

| | |
|-------------------------|-----------------------------|
| ألم تر أنوار النبي محمد | بطيبة حيث العلم حيث التعلم |
| نبي حيي أريحي مشرب | أرج مليح جهوري مفخم |
| نبي عليم بالغيوب منبؤ | خضم جواد أبطي مكرم |
| نبي رأى مولاه سرا وجهرة | وعاين ما عنه العيان يكتم |
| نبي أراه الله مكنون سره | أمين مكين الجاه بالسر ملهم |
| نبي غدا بالمعجزات مؤيدا | وأعظمها الذكر الحكيم المحكم |

وماذا عسى يبدي المديح وقد أتى ثناء من المولى الكريم مقدم (27)

على هذا النمط , نسج الشاعر ميميته بأفصح الكلمات , وأبسط العبارات , فلا قارئ يتقهقر من قراءتها لحسن صياغتها , وقوة ذوقها مع انسجامها مع التعاليم الإسلامية , أضف إلى ذلك أن تكرار كلمة " نبي " في معظم الأبيات , يوحي إلى أنه يتلذذ بذكره , ويذكي به بصيرته فيزاداد ارتشافا من بركة الممدوح

وإذا ألقينا نظرة إلى قصيدة أخرى من هذا الغرض , فإن الشيخ اختار الألفاظ السهلة على الكلمات الغربية , وفضل الأسلوب اللين على الأسلوب الخشن , فتأنيته من مدائحه شاهدة على ذلك يقول على سبيل المثال في الذين تولوا رعاية النبي, وكفالة تربيته من جهة أعمامه بعد وفاة أبيه ثم غرام المادح بالممدوح , ووقوع أعجوبة مفاجئة كما حدثت في عرش بلقيس :

وتوفى الله والدها فتوالتها العمومات
لا تزال الدهر في كنف أو توافيها القيامات
ليت شعري هل تساعدني وتواتيني الهنيئات
إن أرضي عنك شاسعة وأنا لي فيك حالات
فلتجاذبني كما جذبت عرش بلقيس الكرامات
قادري في ديار كنو تنهمي منه الدموعات
تخذ الأمداح عادته ولكل الناس عادات
لم أزل أبكي وتسعدني وتواتيني البنيئات
وعسى من أجل تسميتي باسمه تربو الحظوظات
إن تخاذلني فأني فتى يرتجى منه الإغاثات
أو تصامت الصريخ فمن تبتغى منه الإجابات
عادتي ما عشت يا أملي فيك أبيات أبيات (28)

تتسم هذه الأبيات من محتواها بسهولة الألفاظ وعذوبتها , وفوحها فوح
الطر الشذي . لقد ساعف الشاعر حقا إمامه بتاريخ الرسول من الولادة
إلى الوفاة , وبصيرته الوقادة في اختيار الكلمات . على هذا الدرب , ترى
قريحة الشيخ تتفجر إذا كان الغرض في المدائح النبوية , وغالبا ما تنشد هذه
القصائد في حلقات الذكر والوعظ أو في أيام المولد النبوي الذي ينتهزها
العلماء السنيون لإحياء ألحان الخليل , فتملأ الدنيا من جديد بأناشيد نبوية
سواء في المدياع والتلفاز وغيرهما من وسائل الإعلام .

الخاتمة :

قد تناول شعراء نيجيريا أغراض الشعر المعروفة والمستحدثة منها
بإفاضة , وقد نظموا في الوصف , والرثاء , والحماسة , والغزل , وفي الشعر
التعليمي , والحكم والأمثال , و قد جعلوا المدح النبوي مطية يمتطون ظهره
في ثنايا الأغراض الأخرى , إما في الإفتتاحات أو في الاختتامات , ولكنهم
جعلوا المديح النبوي يتميز باستقلاله فنا لمكانته الخاصة في الشعر العربي
النيجيري . ومن الأفاذاذ الذين أفنوا حياتهم , وذلوا أقلامهم في هذا المضمار

الشيخ محمد الناصر الكبري , وقد رأينا في ما سبق الشواهد من بنات فكره التي تهدف -أولا وآخر- إلى الرسول الأمين , وقد ذكرنا بصورة موجزة عن حياة الشيخ , وشعره , ولغته , وأسلوبه قدر الاستطاعة .
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت , وإليه أنيب , وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على منهجه إلى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

الهوامش والمراجع:

- 1- عبد الحميد محمود المسلوت , الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام , الجامعة الليبية , الطبعة الأولى , 1993م , ص192.
- 2- المرجع نفسه , ص192.
- 3- فؤاد إفرام البستاني , مناهج القراءة والأدب , بيروت : مؤسسة أ. بدار الطباعة والنشر, الجزء الأول , 1983م , ص168.
- 4- كبر: بلدة في تمبكتو , جاء منها أجداد الشاعر.
- 5- أشهر بلاد هوسا القديمة والحديثة . وأغناها وأوسعها , وأرقاها . وقد زار هذه المدينة أعلام الفكر الإسلامي . أمثال الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني , مكث بها مدة , تولى فيها القضاء , والإمامة , وتزوج بها , وخلف ثلاثة أولاد بها وهم : أحمد , وعيسى , والسيد الأبيض . ومن الزوار الكبار الشيخ عبد الرحمن الزناتي , وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . لمزيد من المعلومات : أنظر : موجز تاريخ نيجيريا للشيخ آدم عبد الله الإلوري , ص81-82. والإسلام في نيجيريا للمؤلف نفسه , ص88-89.

- 6- ومن ألقابه "كونا صلا" (باللغة الهوساوية) ومعناه في اللغة العربية القائم بالليل للتهجد .
- 7- تزيد مؤلفات الشيخ على المائتين ما بين منثور ومنظوم في لغتي العربية والهوساوية , ولكن أكثرها في اللغة العربية منها ما هو مطبوع , ومنها ما لاتزال مخطوطا إلى الآن , ومنها : ما ضيعته يد الزمان .
- 8- شيخ عثمان كبر, الشعر الصوفي في نيجيريا , القاهرة : النهار للطبع والنشر والتوزيع , الطبعة الأولى , 2004م , ص231.
- 9- المسلوت , الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام , ص270.
- 10- المرجع نفسه , ص270.
- 11- النابغة الذبياني : لقب بالنابغة لأنه نبغ في الشعر شرح شبابه .
- 12- المسلوت , الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام , ص271.
- 13- عبد الباقي شعيب أغاكا, الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري , إالورن : مطبعة ألبى الإنتاجية , الطبعة الأولى , 2005م , ص80.
- 14- أغاكا, المرجع نفسه , ص83.
- 15- عيسى ألبى أبوبكر , الرياض , إالورن : مطبعة ألبى الإنتاجية , الطبعة الأولى , 2005م , ص73.
- 16- أبوبكر عتيق الكنوي , إتحاف الأحياء بذكرى وقعة أحد ومن بها من الشهداء , ص47.
- 17- سبب هذه القصيدة أن الشاعر رأى في المنام كأنه جالس بين يدي رسول الله , ومعه جماعة كثيرة , فأصبح ينشد المدائح النبوية أمامه , وفي لسانه , هذا البيت :

أسرى بك الله نورا نحو حضرته فنلت ثم أيا مختاره التحفا

- والجماعة يجيبون على عادة المداح حين ذلك استيقظ , المرجع نفسه , ص47.
- 18- إشارة إلى مخمس القصيدة , والمداح من كبار علماء نيجيريا بلا جدال .
- 19- محمد الأمين عمر , هدية الأحاب والخلان , القاهرة : مطابع الزهراء للعلم العربي , 1988م , ص260.
- 20- محمد الناصر الكبرى , سبحات الأنوار من سبحات الأسرار , طبع على نفقة الحاج بلا , مكان النشر ونشره غير مذكورين , ص52-53.
- 21- المرجع نفسه , ص 123-126.
- 22- المرجع نفسه , ص12-15.
- 23- المرجع نفسه , ص74-75.
- 24- شيخو أحمد سعيد غلادنتي , حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا , الرياض " شركة العيبكان للطباعة والنشر , الطبعة الثانية , 1993م , ص111.
- 25- حسن شاذلي فرهود وآخرون , البلاغة والنقد , الرياض : وزارة المعارف , المديرية العامة للأبحاث والمناهج , الطبعة الثالثة , 1981م , ص101.
- 26- فضل حسن عباس , البلاغة فنونها وأفنانها , عمان : دار النفائس للنشر والتوزيع , الطبعة الثانية عشرة , 2009م , ص72.
- 27- محمد الناصر الكبرى , سبحات الأنوار من سبحات الأسرار , ص120-121.
- 28- المرجع نفسه , ص 15-16.

